حازم جواد الاب الشرعي لصدام حسين يعترف بجرائم ضد العراقيين وزعيمهم الخالد:

قاسم كان متسامحا وديمقراطيا.. واطلق سراح السجناء.. وكان عارفا بتحركات جواد وفريقه

عبد السلام عارف كان أرعن متسرعا ضعيف الشخصية عديم الثقافة... ذيلا تابعا لعبد الناصر

محمد حسن صبيح*

نشرت صحيفة «القدس العربي» سلسلة من الحلقات من اوراق حازم جواد، امين سر القيادة القطرية ورئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة الاسبق، و تحدث فيها عن اسرار حركة الثامن من شباط (فبراير) 1963. وقد تلقت «القدس العربي» العديد من الردود على هذه المذكرات التي استعادت حقبة من التاريخ العراقي الماضي. ونحن ننشرها عملا بحرية الرأي. وننشر اليوم مشاركة بعثها محمد حسن صبيح (قد يكون اسما مستعارا) ورده على حازم جواد كامل الا اننا قررنا حذف بعض العبارات والكلمات التي تصادم الذوق، وهي لا تؤثر على محتوى المادة والنقد الذي يقدمه محمد صبيح هنا.

«القدس العربي»

في سلسلة من المذكرات المنشورة في جريدة «القدس العربي» اللندنية وفي معرض رده على مقالين نشرهما السيد نعمة فارس الضابط البعثي والمساهم كذلك في تلك الاحداث المأساوية الدامية، اتهم السيد حازم جواد السيد نعمة فارس بتضخيم دوره في تلك العملية على حساب ادوار الاخرين خصوصا وهو ـ اي السيد حازم ـ قد لعب دورا قياديا متميزا ـ طبعا غير مشرف بالنسبة لنا ـ في الاعداد لتلك المؤامرة وحبك خيوطها. وقد تمادى الكاتب في الصاق بحق رموز ثورية يحترمها العراقيون الوطنيون حتى وان اختلفوا معهم في المواقف والرؤى ولم تكن لغته بعيدة عن الخطاب القومي العروبي الذي عهدناه، خطابا فارغا اجوف لا يمس الواقع على الاطلاق، ولا يعتمد على المنهج التحليلي للاحداث وتفاعلاتها بقدر انحدار نحو الشتمية البذيئة يصل حد التجريح والتهديد.. لكني سأضطر الى استعارة بعض من ادوات ومفردات هذا الخطاب في ردي على السيد حازم جواد، هذا لقناعتي بأنه، اي الخطاب الذي استعيره، هو الانسب في الرد على مثل هذه المواقف الاستفزازية وكذلك لان صاحب الخطاب لا اظنه يفهم لغة اخرى عن تلك التي يجيدها.

اشار السيد حازم جواد الى اربعة مصادر هي رواية «الايام الطويلة» لعبد الامير معلة، واستشهد من خلالها بالكثير من الاحداث التي اشارت الى دوره الهام، تحت اسم «محسن الملاح» وكذلك كتاب المرحوم هاني الفكيكي «اوكار الهزيمة» ثم موسوعة 19 تموز وشهادات الضباط الماركسيين فيها كما يقول واخيرا مقالتي الفريق نعمة فارس وانا هنا، غير معني تماما بحجم الدور الذي قام به السيد حازم جواد ابان تلك الحقبة السوداء، بقدر ما انا معني بالرد ومناقشة جملة من الاكاذيب ومحاولات التضليل السافرة والاساءة الى الامة العراقية وثورتها المجيدة وقيادة الزعيم الشهيد لها على وجه التحديد والدقة، ففي جملة من الخطب الرنانة الجوفاء التي تعود سماعها من البعث الدموي ورجاله، يصف السيد حازم ذلك الانقلاب الاسود بالتجربة ذات «الوجه الناصع او الجميل لهذه الصفحة الخالدة من صفحات حركة التحرر القومي». اقول في خضم هذه اللغة، وهذا الخطاب الساذج المتدني ينقلب في عرف الكاتب وحزبه الوطني الى خائن والشجاع الى جبان والفأر الى أسد واللئيم الى كريم والوطن الى سجن والمجرم الى مناضل من اجل الحرية وغير ذلك من اعاجيب الفكر العفلقي المقيت.

الصورة الحقيقية لعارف

ولنحاول هنا ان نجمع الخيوط التي تحيك الصور الحقيقية لعبد السلام عارف، النموذج، وكما جاءت في ثنايا مقالات السيد حازم جواد، كان عبد السلام عارف ماكرا ومتآمرا من الطراز الاول، قال وهو يكرر ضاحكا «والله لم يخطر ببالي مثل هذا الحل، وانا اعتبر نفسي اكبر متآمر او متآمر محترف..» هذا نص ما جاء به السيد حازم جواد على لسان عبد السلام عارف في ثنائه على الافكار التي جاء بها حازم جواد عند تحديد اليوم والساعة في الثامن من شباط (فبراير) المشؤوم. كما كان عبد السلام عارف غدارا ناكرا للجميل واعدامه للشهيد عبد الكريم قاسم ـ وهو الذي عفا عنه ـ من اكبر الدلائل على ذلك، بل غدر بحزب السيد حازم جواد في تشرين الثاني (نوفمبر) 1964 وحسنا فعل هنا في هذا الموقف، فقد انقلب عليهم حين ادرك ومن خلال حسه التآمري المتأصل فيه ان صبر العراقيين بدأ ينفد من كثرة الجرائم والمخالفات القانونية والاخلاقية لاعضاء حزب البعث وحرسه القومي جدا وقد امتلأت السجون بمئات الآلاف من الابرياء، وما حركة الشهيد حسن سريع الا شاهدا وقتئذ على ردود الفعل الشعبية المستنكرة لتلك المجازر، فأراد عبد السلام ان ينأى بنفسه عن تلك الاعمال الشنيعة. لكن السيد جواد وكعادته، يورد مبررات غير حقيقية تنم عن اصابة بعمى الالوان وهوس مجافاة الحقيقة، كما لم يكن اسدك الفأر هذا الا طائفيا مقيتا، فقد اشتهر في عهده التخندق الطائفي وتسمية «الرافضة» كانت محببة الى نفسه لوصف العراقيين الشيعة، وانتشر في عهده الفساد الاداري والاستئثار بالحكم من قبل عشيرته «الجميلات»، حيث كان لقب «الجميلي» يشكل امتيازا لمن يحمله ويثير الخوف والرهبة في نفوس العراقيين العاديين، هذا اللقب الامتياز لم يكن يوازيه شيء سوى رديفه «التكريتي» في زمن البعث اللاحق. ومن اهم صفات عبد السلام عارف انه كان أرعن متسرعا ضعيف الشخصية والارادة، عديم الثقافة، ذيلا تابعا لديكتاتور مصر جمال عبد الناصر واطماعه في العراق ومخططاته المريبة ضد ثورة العراق الفتية وقائدها داعيا الى الوحدة الفورية مع مصر متخطيا، دون ادراك او وعي سياسي، حقائق وعقبات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية. كما انه لم يكن يحظى باحترام الامة العراقية على الاطلاق، كما ورد في مقالتي السيد نعمة فارس، وما احتلاله «في فترتين عظيمتين من تاريخ العراق هذه المواقع القيادية الرسمية...» الا بمساعدة الغير وبأساليبه الخبيثة وقدرته التآمرية التي وصف هو نفسه بها واسباب اخرى تتعلق بسلوكه كما يقول السيد نعمة. اما عبد السلام عارف المفجر الاول و«اسد» ثورة الرابع عشر تموز كما تقول ظلما وزورا وكذبا على التاريخ.

له دور قيادي ولكن ضعيف الشخصية

«كان عبد السلام عارف الشخص الثاني بل اقوى حتى من صاحب الدور الاول» وهذا ما أوردته في احدى مقالاتك لتناقض فيه، لكنك تناقض بذلك ادعاءك في مقال لاحق. ثم من هو الشخص الاول غير الزعيم الشهيد! انني لا انكر دوره القيادي.. لكن وبسبب يعود الى شخصيته التي نعرفها، لم يكن بمستوى تلك المسؤولية وسرعان ما كشف عن عيوب كبيرة، اضافة الى تلك التي تحدثت عنها، قادته الى ارتكاب اخطاء وحماقات ما كانت لتحدث لولا تهوره ورعونته المتمثلة بهوسه الوحدوي ومشاركته في التآمر على صديقه عبد الكريم قاسم ومن ثم قتله والتنكيل به وبنفس المنهجية التي اعتمدها في قتل العائلة المالكة والاساءة الى الثورة وقائدها متجاوزا بذلك رغبات ونوايا مفجرها الزعيم الشهيد. لقد كان «حجي مشن» كما كانت تنعته الامة العراقية احتقارا واستخفافا به «زعيما» غير شعبي حقا وكان يوم احتراقه بحادثة الطائرة الخاصة في الجنوب من العراق، او مؤامرة قتله كما ينسبها البعثيون لهم افتخارا، يوم شماتة جماعية حقا، سخرت منه الشعوب العربية وشمتت بموته رغم بشاعة الحدث «طار لحم.. نزل فحم» لكن يبدو ان النسيان والتصحر قد اخذ مأخذه من ذاكرة السيد حازم جواد الفقيرة لمادة الخير اصلا.

وعلى عكس ذلك تماما، وبدرجة زاوية كاملة الحدة، كان الشهيد الزعيم رجلا شجاعا، ابيا كريما، وعسكريا من الطراز الاول من ناحية الانضباط والنظام المطلوبين، رفض ربط عينيه ساعة الغدر به من قبل القتلة، وشهد بذلك اكثر من شخص ممن ساهم في تلك الواقعة النكراء. حاور اعداءه اثناء محاكمته الصورية جدا مؤكدا لهم انه لم يرتكب اي جريمة بحق احد او بحق الوطن. «جريمته» الكبرى هي حبه لوطنه وفقرائه وتفانيه من اجلهم وهو مستعد لتلقي ومجابهة نتائج ذلك الموقف، وطلب منهم الحفاظ على سلامته وتسفيره للخارج، لا خوفا او جبنا منه، حاشاه ذلك، بل حقا له عليهم وعلى شعبه المحب والمبجل له وهو الذي اجزل في صفحه عن المسيئين له، ولعمري فقد اخطأ هنا ثانية غفر الله له، فهو بذلك يسقط اخلاقه النبيلة على الغير، متوجسا انهم يحملون نفس الخصال الانسانية او على الاقل درجة معينة معها....

حرص الزعيم الكريم وحافظ على ارواح مواطنيه الذين احبهم وكرس حياته كلها لهم حينما رفض طلبهم المشروع جدا حينها بالدفاع عنه وعن وطنه الغالي وثورته المجيدة « يا زعيم انطينا سلاح باسم العامل والفلاح» لكن، ويا سوء طالعنا وطالع الوطن عموما، اخطأ هنا ثانية كما اخطأ في عفوه عن الأنجاس الخونة والأرواح الشريرة حينما كانوا في قبضته، قبضة الشعب، ولم ينزل بهم العقاب العادل الذي يستحقونه كي لا يلحقوا بالعراق والعراقيين العار والخراب والدمار فيما بعد وقولته «عفا الله عما سلف» تعد مدرسة لجميع القوى الوطنية العراقية في تثبيت مبدأ التسامح والمحبة في الحياة السياسية العراقية وما زال يرددها العراقيون الاوفياء فهي نبراس لهم.

واضافة الى تسامحه، فقد كان الزعيم ديمقراطيا شعبيا مراعيا لحقوق الانسان العراقي وحافظا لكرامته ولقد وردت امثلة غير قليلة في مقالات السيد حازم جواد اسقطها دون علم منه. ويورد لنا السيد حازم جواد كيف اطلق الزعيم سراح السجناء المعارضين والمشاغبين، وكيف كان ورهطه يجتمعون للتخطيط للتآمر عليه وعلنا في دار سكناهم ودون رقيب او محاسب. وكم من مرة قام الزعيم بتنبيه هؤلاء لمخاطر سلوكياتهم الشاذة سياسيا ووطنيا وما خطبته في معسكر الرشيد التي اشار اليها حازم جواد الا مثالا لا غير، لم يكن الزعيم يرغب في كما لم يكن ميالا لاستعمال العنف حتى ضد تلك الشلة الطائشة المنحطة، بل كان ميالا الى النصح واللجوء الى الردع في اسوأ الاحوال.. وكان في ذلك حقا درسا في الديمقراطية والمحبة والتسامح اساسه الحكمة والشعور العالي بحق الغير في الحياة وحرية التعبير والانتماء، لكن تلك الزمر الطائشة قد ارتهنت «بلا رجعة» بمشاريع الاجنبي وتكالبت على العراق واهله، فقد انتظر سيادته الهدى من الضالة المبتورين.. وقسما فقد اخطأ هذه المرة ايضا.

يصدق بحق الزعيم

يصدق السيد حازم جواد حينما يخبرنا ان الزعيم لم يكن ينام الليل، وفي الاغلب يبقى ساهرا، لكنه لا يصدق على الاطلاق حينما يعزو ذلك الى توجسه وتخوفه من انقلاب ضده، وان كان الزعيم محقا في ذلك ان فعل، فقد بين لنا السيد حازم جواد في اكثر من مناسبة مدى جدية وعمق التآمر الذي يدور حوله من تلك الشعل السائبة. يقضي الزعيم ليله ساهرا على مصالح الناس، متابعا امور دنياهم ومشاركا الفقراء منهم همومهم وكثيرا ما كان يفاجيء المدن والاحياء الشعبية مترجلا من سيارته ماشيا على اقدامه الكريمة يدخل بيوتهم واكواخهم متبرعا من راتبه وماله الخاص. وانا اجد الذين تشرفوا في احد تلك الزيارات من ملاقاته وجها لوجه ومصافحته دون تدخل او ممانعة من قبل حراسه، وقصة توبيخه للخباز الذي كان يغش في عمله وينقص الميزان في رغيف الخبز، تلك القصة معروفة وخالدة في اذهان العراقيين، وبخ الخباز قائلا له بحكمة الأب الرحيم «ولدي ارجوك كبر من الشنكة «اي عجين الخبز.. وصغر من صورتي» في اشارة منه الى صورته التي يعلقها الخباز على جدار مخبزه. وهناك المئات من القصص الحنونة الجميلة التي كانت تقصها الامهات والجدات الى ابنائهن ساعة النوم، قصصا واقعية تمجد الزعيم ومواقفه وخلقه وحبه للخير وللخيرين منا. ألم تبادر الجماهير الغفيرة التي هبت لاستقباله في احدى المرات الى رفعه على الاكتاف والرؤوس وهو داخل سيارته.. اي رفعت سيارته على اكتاف الناس تعبيرا عن المحبة والامتنان لذلك الابن البار لهم.

بانتظار عودة الزعيم.. من القمر

كان لمصرعه المفجع وقع كبير في نفوس العراقيين والى يومنا هذا. يتذكره العراقيون والحسرة والحزن تملأ صدورهم، كان لي عما، رحمه الله، يتذكره في كل مساء باكيا منادبا له «اطلع من عرينك يا بعد عيني». افقدت الواقعة الفاجعة التوازن النفسي الجمعي للناس، او اخذت تبحث عن مسكنات تلوذ بها من قسوة الواقع الذي فرض عليهم الاوغاد بقتلهم زعيم الشعب العراقي فعمدت الى عدم التصديق بما وقع ورفضه.

وفي محاولة لاعادة التوازن النفسي هذا للجمع العراقي اتجهت الجماهير الى اشاعة وجود بطلهم في الخارج، وبالتحديد في ايران، ولا ادري لم ايران. وتنتظر الناس عودته الميمونة والمؤكدة اليهم، بل ذهب الناس اكثر من ذلك فاذعن منهم، وهو يقسم اغلظ الايمان بأنه شاهد الزعيم الخالد وفي ليلة كان القمر بدرا كوجه زعيمهم، مرسومة على القمر، وكم كانت تلك القصص بلسما لجراحنا، وكثيرا ما اغرورقت العيون بالدموع وارتسمت البسمات العريضة حين السماع بقصص مثل تلك، او بعد كل هذا، هل يستحق الزعيم كل الذي حصل له على ايدي جلاديه؟؟ انه سؤال للتاريخ، سؤال نوجهه لغيرنا، لأننا، نحن العراقيين نملك يقين الاجابة عليه.

يعترف السيد حازم جواد بأنه قد تسلل من والى العراق في مناسبات عدة تفوق الاربع، وكذلك فعل غيره من قياديي حزب البعث العفلقي في تلك الحقبة، امثال فؤاد الركابي وعلي صالح السعدي علما ان سورية التي كان يتسلل منها واليها كانت ترتبط بعلاقات قوية مع الجمهورية العربية المتحدة وعبد الناصر على وجه التحديد، ولقد كان النفوذ المصري فيها كاسحا للحد الذي يعتقد الجميع ان المخابرات المصرية هي الحاكم الفعلي للقطر السوري وقتذاك، ويعترف كذلك بأنه قد ادخل حقيبة مليئة بالسلاح الخفيف خلال احدى تلك المغامرات الشقية وقام بجلبها الى داره في بغداد ليقوم بتوزيعها الى رفاق من حزب البعث العفلقي ولم يقل لنا السيد حازم الجواد اي علامة مسجلة كانت تحملها تلك الاسلحة.. اهي بورسعيد المصرية؟ ويقول كذلك انه قد تدرب في يوم من الايام وفي القاهرة.. وعلى ارض الكنانة على «نوع جديد ومتطور من اجهزة الارسال وبعض اساليب التخفي تحسبا للجوء قاسم الى قطع العلاقات الدبلوماسية مع الجمهورية العربية المتحدة». ويعلن في اكثر من مناسبة ان انقلاب شباط (فبراير) الاسود لم يكن مفاجئا وعفويا او وليد صدفة او رغبة في رحيله، بل كان استكمالا لجهد ونشاطات غير قليلة ومنذ عام 1958 اي العام الاول لثورة قاسم الشعبية المباركة، ويسرد لنا كيف انه قد اقترح على عبد السلام عارف القيام بزيارة مصطنعة لقاسم شخصيا كي يستقرئ منه حجم المعلومات التي ادعى قاسم معرفتها..». لقد جئت بهذا النص لاثبات حقيقتين: الاولى، تبين مدى مرونة وسعة قلب الزعيم بحيث يمكن لمتآمر مثل عبد السلام عارف، والمعروف النوايا تماما للزعيم او حتى غيره، من ان يزور الزعيم في داره ودون مبرر كبير لها والا كيف تكون الزيارة مصطنعة؟

والحقيقة الثانية هي مدى هبوط عبد السلام ولمن اشار عليه ذلك وغيرها في استغلال طيبة قلب القائد وانفتاحه على الجميع ولتحقيق اغراض دنيئة مرتبطة بالمشاريع الاجنبية.

كما يعترف السيد حازم جواد في مكان آخر بما يسميه «حمى التفكير بالعمل عن الاطاحة بالنظام..» في اعلان عن توجهات حزبه في تلك الحقبة.

وبما ان الزعيم كان رجلا ديمقراطيا ويحب الخير للجميع وحريصاً على الوحدة العراقية متعففا ومتعاليا عن كل خلاف فقد بعث لمقابلة السيد فؤاد الركابي في محاولة منه للتعريف الواضح لنواياه ورؤياه بخصوص المشكلة الكأداء التي اتخذ منها البعث قميص عثمان، الا وهي الوحدة مع عبد الناصر، فقد استطاع، على ما يبدو اقناع السيد فؤاد بضرورة التدرج في هذا المسار وابدى استعداده لدعوة المشير عبد الحكيم عامر الى بغداد والتوقيع معه على وحدة عسكرية «اساسا للوحدة السياسية» وقد خص الشهيد عبد الكريم السيد فؤاد الركابي بهذا اللقاء دون غيره ليس لانه كان يعلم علم اليقين ان الرفيق فؤاد الركابي سيقوم بنقل تفاصيل هذا اللقاء الى الرئيس عبد الناصر في اليوم التالي ان لم يكن في اليوم نفسه..».

وقد استشاط البعث غيظا لهذا الانفراج، وقدم السيد حازم جواد استقالته من حزب البعث وكذلك فعل علي صالح السعدي والذي اعترف فيما بعد بـ«القطار الامريكي» الذي اقلهم.

ومن خلال كل هذه الادلة على حجم التآمر الذي كان يقوم به عبد الناصر واجهزة مخابراته السيئة الصيت «الى ان شن الرئيس عبد الناصر حملته الشعواء على قاسم..» ويتضح التدخل السافر لعبد الناصر في الشأن العراقي مستغلا طيش وضلالة البعثيين العراقيين وتهورهم.

لقد اعتصر قلب هذا البعثي العتيد ألما وحقدا حينما شاهد نصبا لزعيم الامة العراقية يقام له عرفانا بالجميل والمحبة من قبل مجموعة من العراقيين الابرار والاوفياء ومن مالهم الخاص، ودون الايعاز من احد او جهة ما، ووصل به العمل حد التطاول على الناس الذين لا نعرف لهم تاريخا اسود كتاريخه على الاقل، وبلسان بعثي وسخ ناعتا اياهم بـ«بطانة السوء والشر..» لقد ذكرني السيد حازم جواد مرة ثانية وعاشرة ايضا بذلك الخطاب البعثي المتدني وذلك المجرم صدام.

واخيرا فقد ادخلنا السيد حازم جواد خلال جولتنا معه في مذكراته الى ذلك الكابوس الاسود وعمد الى نكء الجراح وتقويض المضاجع وانحسار النفس وتعكير المزاج واوصلنا الى يقين مطلق من انه ليس الا صدام حسين الذي نعرفه بكل سلوكياته وما صدام القابع في الحبس اليوم الا النسخة المشوهة لهذا الجواد. وليسمح لي ان استعير اللهجة المصرية هنا والمحببة بالتأكيد الى نفسه وهو الناصري الاصيل لأنطق اسمه كالمصريين «حازم .....».

لقد ظلت تلك الفعلة البشعة تطارد اصحابها وتحل عليهم اللعنة فردا فردا، فمنهم من احترق ومنهم من مات وعائلته مقتولا على يد رفاقه واصحابه في الجريمة وما اكثرهم، ومنهم من يشهد اليوم حياة الذل الذي لا يشبهه ذل ومنهم من يعيش في المنفى ينتظر المصير البائس والمحتوم وفي عزلة واحتقار.

لكن زعيمنا يبقى خالدا خلود العراق.. خلود شعوبه، وسيبقى الزعيم اسطورة عراقية تخص العراقيين وحدهم وتظل روحه الطاهرة تبارك العراق وتحوم حوله وان حاول الاوغاد اخفاء اي اثر لجثمانه الطاهر كي لا يقوم اهل العراق باقامة ضريح يليق به.. وهل يكون بحاجة الى ضريح من يسكن قلوب الناس وضميرهم ووجدانهم؟ لك شهيدنا المجد ولاعدائك الخزي والعار. ولهذا، ووفاء لروحك الطاهرة فاني ادعو العراقيين جميعا وقواهم السياسية وكذلك منظمات المجتمع المدني والمعنية بحقوق الانسان، برفع دعوى قضائية بحق السيد حازم جواد وللمساهمة بقتل الزعيم الخالد وارتكاب جرائم بحق رفاق الزعيم وغيرهم من العراقيين الابرياء في العام الاسود 1963 وكذلك الزج بالمئات في السجون والمعتقلات وتعذيبهم، كما ادعوهم الى توجيه تهمة الخيانة الوطنية الى السيد حازم جواد لتعاونه مع الاجنبي، مصر عبد الناصر، وتسهيل مهمة تدخله في الشأن العراقي والذي اضر كثيرا بالمصالح العليا للوطن والناس!

---

* سياسي عراقي

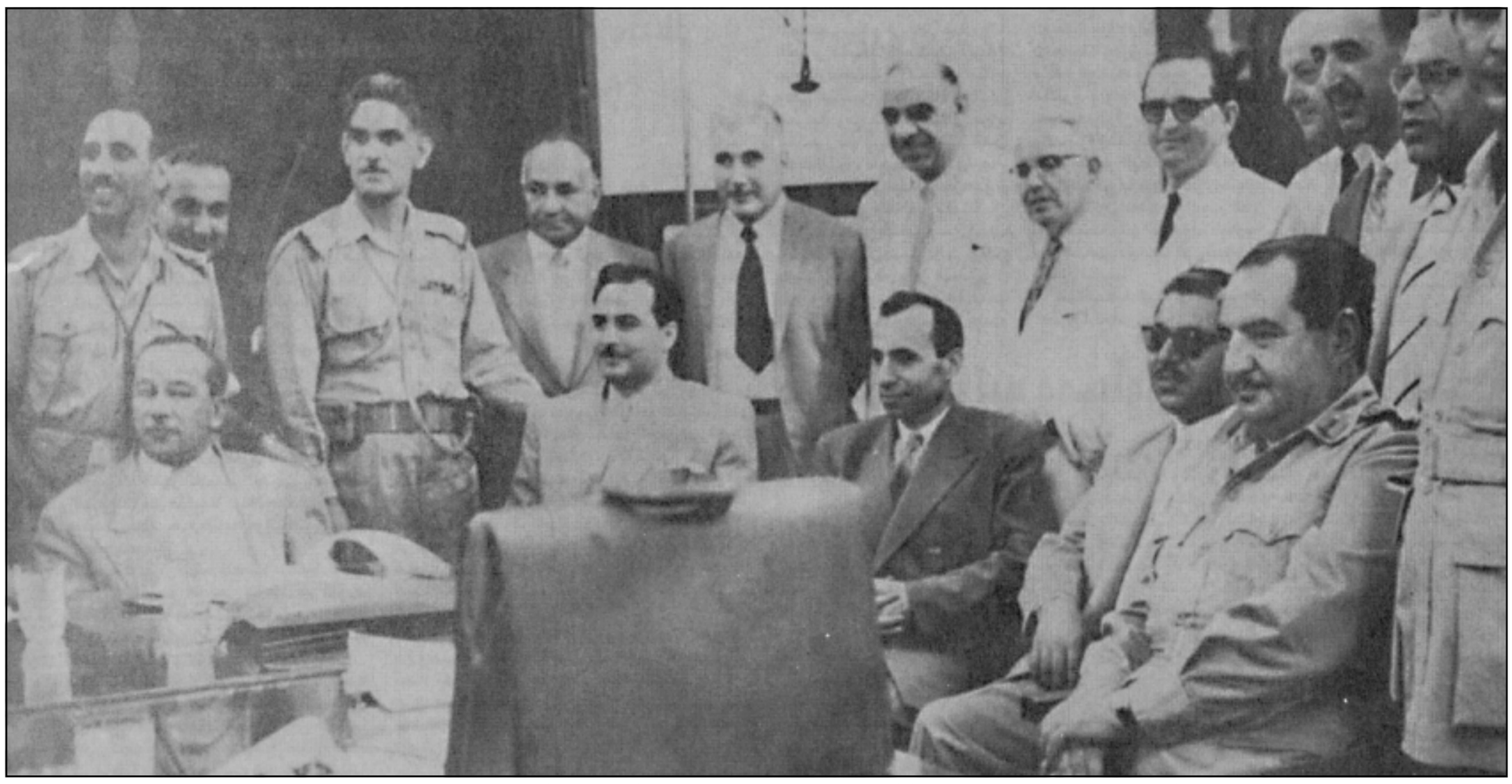

صورة جماعية بعد حوالي اسبوع من قيام ثورة 14 تموز (يوليو) 1958، ويظهر قادة الثورة وقوفا من اليسار، عبد السلام عارف، وعبد الكريم قاسم، ونجيب الربيعي «رئيس مجلس السيادة»، ومحمد مهدي كبة «عضو مجلس السيادة» وقادة آخرون. وجلوسا من اليمين، احمد صالح العبدي، رئيس اركان الجيش، وشفيق ارشيدات، وميشيل عفلق.

يصدق السيد حازم جواد حينما يخبرنا ان الزعيم لم يكن ينام الليل... وفي الاغلب يبقى ساهرا، لكنه لا يصدق على الاطلاق حينما يعزو ذلك الى توجسه وتخوفه من انقلاب ضده....